al-Jundi, Anwar

الموسوعة الإسلامية العربية

٦

V.6

أخطار المنهج الغربي الوافد

في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع

بقلم

أنور الجندي

دار الكتاب اللبناني - بيروت

CD 5-79

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف والناشر

دار الكتاب اللبناني
برقيا : كتالبان - بيروت
ص ب : ٣١٧٦
بيروت - لبنان

CAT FOR
MAIN

الطبعة الأولى – ١٩٧٤
1974

BP161
.2
J541
V. 6

وقائع البحث وآفاقه

صفحة

مدخل : [أصول منهج البحث بين النظرية والتطبيق] . . ٧

مقومات منهج البحث ٩

منهج البحث في الانسانيات ١٤

تجربة علم النفس وعلم الاجتماع ١٧

منهج البحث الغربي ليس عاماً ولا عالمياً . . . ٢١

الباب الأول : الاخطاء في مجال العقائد والدين والفلسفة . . ٣٩

الفصل الأول : الأخطاء في مجال العقائد ٤١

الفصل الثاني : الأخطاء في مقارنات الأديان . . . ٧٣

الفصل الثالث : أخطاء الشريعة والسنة ٨٧

الفصل الرابع : أخطاء الفلسفة ١٠٩

١ — العلم والفلسفة ١٢٣

٢ — أخطاء الاعتزال ١٢٩

٣ — أخطاء التصوف ١٣٧

الباب الثاني : أخطاء التاريخ والحضارة ١٤٣

الفصل الأول : مفاهيم التاريخ ١٤٥

الفصل الثاني : علم الأجناس والقومية ١٨١

الفصل الثالث : مفاهيم الحضارة ٢٢٧

2559

صفحة

الباب الثالث : أخطاء اللغة والأدب والفن ٢٥٣

الفصل الأول : مفاهيم اللغة ٢٥٥

الفصل الثاني : مفاهيم الأدب ٢٧٧

الفصل الثالث : مفاهيم الفن ٣٣٧

الباب الرابع : أخطاء مفاهيم الاجتماع والنفس والتربية . . ٣٥٩

الفصل الأول : مفاهيم الاجتماع ٣٦١

الفصل الثاني : مفاهيم الأخلاق ٣٧٩

الفصل الثالث : مفاهيم النفس ٣٨٧

الفصل الرابع : مفاهيم الوجودية ٤٠٥

الفصل الخامس : مفاهيم التربية ٤١٣

الباب الخامس : أخطاء المنهج الغربي الوافد ٤٢١

الفصل الأول : أخطاء المنهج الغربي الوافد ٤٢٣

الفصل الثاني : وجوه التباين والاختلاف بين المناهج . . . ٤٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل
أصول منهج البحث بين النظرية والتطبيق

يطلق اسم « منهج البحث » في الغرب على ذلك الأسلوب المستحدث الذي يتخذ أساساً للبحث في مختلف قضايا الفكر والعلوم الطبيعية والرياضية والعلوم الانسانية (النفس والاجتماع والتاريخ) وقد تنقل الفكر الغربي بين منهجين من مناهج البحث . هما المنهج القائم على (الاستنباط) والمنهج القائم على (الاستقراء) . أما المنهج الأول فهو منهج أرسطو الذي يقوم على استخراج النتائج من مقدماتها القائمة . وهذا منهج قد نبذته أوربا منذ وقت بعيد . ومنذ وضع فرانسيس بيكون منهج (الاستقراء) القائم على التجربة .

ويقرر التاريخ أن هذا المنهج الذي وضعه فرنسيس بيكون هو المنهج الاسلامي الذي قدمه المسلمون والذي نقله بيكون عنهم ، وأعلن ذلك رسمياً في أكثر من وثيقة ثابتة . فقد كان الفكر اليوناني يقوم على منهج الاستنباط المستمد من القياس المنطقي والحكم الذهني ، وهذا هو ما رفضه الفكر الاسلامي في فجر ظهوره . حيث التمس أسلوباً مغايراً قوامه الممارسة العملية والتجريب .

ومن خلال التمرس العملي أخذ الفكر يكشف قصور مذهب أرسطو الذي

لا يهتم بالتجربة . ولقد كانت التجربة هي أساس المنهج الاسلامي . ومن حيث كان الفكر اليوناني يرى أن العلم يبدأ بالكليّ، وأن الجزئي ليس علماً، اتجه الفكر الاسلامي الى التجريب ، وبدأ من الجزئي حتى وصـــل الى الكليّ ، واتخذ التجارب وسيلة الى كشف الروابط بين الأشياء . وبذلـــك تحققت النظرة الموضوعية الى الظواهر الطبيعية والاجتماعية على السواء .

وتقررت تماماً حقيقة أساسية هي أخذ اليونان بالقياس ، وأخـــذ المسلمين بالتجربة . وقد عرفت أوربا المنهج التجريبي الاسلامي بعد قرون من مطلـــع حضارتها الحديثة من كتابات علماء المسلمين واعتنقه من الأوربيين أولئـك الذين تعلموه عن المسلمين .

وقد أعلن روجر بيكون أنه إنما تلقى هذا المنهج عن المسلمين . ويعد روجر بيكون الأمـير الحقيقي للفكر الأوربي في القرن الثالث عشر ، لأنه أول من نادى بمهاجمة المنهج الأرسطي في أوربا وحمـــل لواء الدعوة الى اصطناع منهج العرب .

وقد أوضح روجر بيكون قيمة المنهج العربي عندما قارن بين ثلاثة مناهج فقال : إن هناك طرقاً ثلاثة يمكن أن تؤدي الى المعرفة . وهي الأخذ بأقوال رجال الدين المسيحي اذا أمكن التحقق من صدقها بالعقل ، والاستدلال القياسي الذي مهما بدت نتائجه متحملة للصدق ، فلا قيمة له إلا اذا أمكن التحقق من صدق هذه النتائج بحسب الوقائع . وأخيراً تؤخذ التجربة . وهي تكفي نفسها بنفسها . فهي غير مشروطة بشرط ، ويريد بها التجربة العلمية على نحو ما بدأ العرب باستخدامها مع الاستعانة بالعلوم الرياضية .

* * *

وهكذا تحررت أوربا من منهـج الاستنباط الأرسطي اليوناني . والتمست منهج الاستقراء التجريبي الذي أخذه الفكر الغربي عن المسلمين .

- ٢ -

مقوّمات منهج البحث

ما هي مقومات منهج البحث القائم على التجربة : « منهج الاستقراء » ؟ يقوم هذا المنهج على قواعد عامة :

أولاً ـ اذا أراد الباحث الكشف عن القانون الذي تخضع له طائفة معينة من الظواهر بدأ بملاحظة هذه الطائفة ملاحظة دقيقة . أو أجرى عليها تجاربه متى كانت طبيعته تسمح بذلك . وينتهي ذلك عادة الى تكوين فكرة عامة عن النظام الذي تخضع له هذه الظواهر في وجودها وتطورها . وتأثير بعضها ببعض . ويشترط أن تكون الملاحظة والتجربة موضوعيتين [١] .

ثانياً ـ يجب أن تكون كل من الملاحظة والتجربة خلواً من الهوى . فلا يتأثر الباحث بعاطفة خلقية أو دينية أو وطنية . أو بوجهة نظر فلسفية سبق له اعتناقها حتى تكون رؤية ما يرى حقيقية لا رؤية ما يخيل أنه يراه [٢] .

وليس معنى هذا أن يتجرد المرء من كل فكرة عقلية سابقة خاصة بالشيء الذي يلاحظه ، أو يجري عليه التجارب ، بل معناه أن

---

١ و ٢ ـ محمود محمد قاسم (المنطق الحديث ومناهج البحث) .

يكون حرًّا الى حدّ كبير تجـــاه أفكاره السابقة ، ومعلوماته التي تلقاها من غيره . فـــلا يتخذها عقيدة ، لا تقبل الجدل أو النقد أو التمحيص .

ثالثاً – يجب على الباحث أن يروض هواه ، وهذه المرونة جزء جوهري من حسن السياسة في العلوم ، كذلك يجب أن يتصف بقليـل من الاعتزاز بالنفس و كثير من الاحتقار للغرور . واذا كان من العسير أن يوفق الباحث بين هذه (العواطف والآراء) وبـــين الحقائق التي تتعارض معها ، فلا بد من قهر عاطفته ، والتخلص من آرائه السابقة – مـا أمكن ذلـــك – حتى يستطيع ملاحظة الأمور الانسانية الراهنة والماضية ملاحظة منزهة عن الهوى[1] .

رابعاً – لا بد للحقيقة العلمية أن تجيء مستقلة بقدر المستطاع عن قائلها . فلا يمازجها شيء من ميوله وأهوائه ونزعاته الذاتية ، وقيمه التي يقوم بها الأشياء من حيث خيرها أو شرها، وجمالها أو قبحها ، فليس لعـــالم النفس مثـــلاً حين يصف السلوك الانساني أن يقول عنه انه سلوك مستحب أو مستهجن . وليس للباحث العلمي أن يختار من الشواهد لبحثه ما يخدم رغبة في نفسه . أو ما يحقق له مثلاً على ما يتمناه ، بل العالم الحق هو من ينظر الى الواقع الخارجي المبحوث نظرة منزهة عن كل هذه الجوانب الذاتية .

فالعلم يحصر نفسه فيما هو موضوعي عام ، وليس له أدنى شأن بما هو ذاتي خاص، وتعريف الموضوعي هو ما تتساوى علاقته بمختلف الأفراد المشاهدين مهما اختلفت الزاوية التي يشاهدون منها[2] .

---

١ – دكتور محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث .

٢ – دكتور زكي نجيب محمود : المنطق الوضعي .

خامساً – إن لكل موضوع طريقته العلميـــة التي تستمد من طبيعته ، فللعلم التجريبي منهجه . ولعلوم الانسانيات منهجها الخاص بها . فهناك منهج البحث في الرياضة . ومنهج البحث في العلوم . وهما يختلفان عن منهج العلوم الانسانية : كالأدب واللغة والتاريخ والاجتماع .

وإن اختلاف المناهج تبع لاختلاف العلوم والأبحاث[1] . وإن العـــلوم الاجتماعية بالذات ليست كحقائق العلوم الطبيعية . ذات طبيعة مطلقة[2] . وان كل العلوم الانسانية ترتبط بالبيئة ، وتتأثر بالتاريخ .

وان مفهوم المنهج العلمي الحديث : أنه علم قائم على قوانين عـــامة . منها التجربة والبحث والدليل والوثيقة . وتتمثل أصول البحث العلمي في الموضوعية ، وعدم ارتجال الأحكام . وحسن الاستدلال ، والتجرد من الهوى والميـــل الذاتيين النفعيين ، والتحرر من كل سلطان سوى سلطان الحقيقة .

وقد أطلق على منهج البحث اسم المنهج العلمي لقيـــامه على أصول علمية ومقررات موضوعية ، ولعدم ارتباطه بالأهواء والأوهام والظنون . ومعنى العلمية على الجملة هو قيام البرهان والنص الموثق .

* * *

في ضوء هذه الحقائق التي تمثل أصول المنهج العلمي للبحث نستطيع أن نحكم على ما بين أيدينا من ثمرات الفكر الغربي لنرى ، هل حقيقة ، قـــام هذا الفكر وأجريت هذه الأبحاث على ضوء المنهجية والموضوعية . وأنهـــا تحررت تماماً من سلطان الهوى ، والفرض والميل الذاتي والنفع الخاص .

إن مراجعة ما حمل الى اللغة العربية والفكر الاسلامي والثقافة العربية مما

---

١ – دكتور عبد الرحمن بدوي .

٢ – دكتور أحمد خليفة : منهج البحث .

أطلق عليه المنهج العلمي الوافد ، وثماره في الأدب والتاريخ والاجتماع والعقائد . تكشف بوضوح عن أن معطيات الفكر الغربي لم تطابق أصول هذا المنهج مطابقة كاملة . وإن كانت هناك أبحاث قامت على أساس صحيح ، ولكن أغلب الأبحاث التي نقلت إلينا خالفت هذه الأصول وانحرفت عنها . وأخطر النقط التي اختلفت فيها ثمرات الأبحاث عن أصول مناهج البحث كانت تلك التي سيطر عليها خطر تطبيق منهج العلوم الطبيعية والرياضية على المفاهيم الانسانية ، وهذه ظاهرة جديدة في الفكر الغربي اتسع نطاقها بعد أن استشرت الفلسفة المـــادية وسيطرت على مختلف الميادين ، وتمثلت في مدرسة العلوم الاجتماعية التي حاولت أن تخضع دراسات الانسان للمنهج التجريبي المطبق في مجالات العلوم المادية .

ولقد كشف البحث العلمي عن حقيقة لا محيص عنها ، هي أن منهج العلوم التجريبية لا يصلح للتطبيق في مجال الدراسات الانسانية . وهي نفس الحقيقة التي ترتبط بمفهوم أن العلوم التجريبية عامة عالمية ملكٌ للأمم جميعـــاً . بينما العلوم الانسانية مرتبطة بذاتية الأمة وخصائصها الاجتماعية والفكرية التي كونتها الثقافات والعقائد .

ومن حيث ان لكل بحث منهجاً علمياً . فإن المنهج العلمي للانسانيات ليس هو نفس منهج العلوم التجريبية . وقد أصبح مقرراً هذا الفصل الكامل بـــين المنهجين : —

يقول الدكتور أحمد خليفة : «إن العلوم الاجتماعية تختلف نوعاً عن الكيمياء والطبيعة في أنها لا تعمل تحت قوانين حاسمة تخضع للتجربة الدقيقة في المختبرات . بل إنها تتناول نحواً فريداً يعتمد على عوامل ليست كلها قابلة للعزل التجريبي . وان التجربة العلمية في المجتمع في ذاتهـــا نوع من التصرف الانساني له صبغته الشخصية البعيدة عن الموضوعية التي يتطلبها العلم » وقد ارتفع صوت العلمـــاء بالقول بأن « علينا أن نحذر من اعتبار الظاهرة الاجتماعية كالظاهرة الطبيعية خاضعة تماماً لنفس قواعد المنهج بغير تقدير لطبيعتها الخاصة » وبأن « المجتمـع

ليس علماً محضاً . بل يعيش أيضاً بالانسانيات غـــير العلمية كالدين والأخلاق والفلسفة بكل ما يلابسها من القيم والمثل والآمال والانفعالات »[1] . ولما كان لهذه الظاهرة أهميتها الأساسية ، فقد تناولناها بالبحث في فصل مستقل .

ويرجع الالحاح على دراسة الانسان وفق مناهج البحث التجريبي المطبقة على الظواهر المادية الى أن الفلسفة المادية تعتبر الانسان « شيئاً مادياً » محضاً . وذلك وجه من أوجه الخلاف الكبرى بين المنهج العلمي الوافد . وبـــين المنهج العلمي الاسلامي . ومن العسير أن يكون مقبولاً أو معترفاً بـــه في الفكر الاسلامي . حيث هو في الفكر الغربي نفسه صريع مذهبين ومدرستين . فكيف يمكن أن يتقبله الفكر الاسلامي الذي يعتبر الانسان كياناً مادياً وروحياً معاً .

---

١ – دكتور أحمد خليفة : منهج البحث .

- ٣ -

مَنْهَجُ البَحْثِ فِي الإِنْسَانِيَّاتِ

إن الخلاف بين الفكر الغربي والفكر الاسلامي حـــول منهج البحث في الانسانيات من أعمق العوامل التي تجعلنا ننظر بحذر الى المنهج العلمي الوافد . ونتعامل معه في حيطة بالغـــة نظراً الى الفوارق البعيدة التي تفرضها النظرة الغربية التي تحاول أن تعامل الانسان وقضاياه على النحو الذي تعامل به موضوعات العلم المادي .

ويعرض الدكتور توفيق الطويل لهذه القضية الفاصلة بين الفكرين على نحو مستفيض وعميق فيقول : « إن طبيعة موضوعات (العلوم والانسانيات) مختلفة متباينـــة . ومن ثم لزم أن تختلف المناهج التي تعالجها كما تختلف القوانين التي تنتهي اليها ، فقوانين العلوم الطبيعية دقيقة وعـــامة ، ولا تتقيد بزمان ولا مكان . أما العلوم الانسانية فتعوزها الدقة ولا يمكن جعلها عـــامة غير مقيدة بظروفها وأحوالها كما انه لا يمكن أن تبرأ من الحالات الاستثنائية »[1] .

ومن هنا فهي غير صالحة للعلوم الانسانية : ذلك أن العلوم الانسانية تحكمها عوامل أخرى تحول دون اصطناع المناهج التجريبية .

أولاً — إن حرية الإرادة البشرية تتدخل في الظواهر الانسانية وتتكفل بتغيير مجراها تغييراً قد يجعل من العسير اخضاعها لقانون علمي ثابت ، ومن

---

١ — عن بحث للدكتور توفيق الطويل بتصرف (أسس الفلسفة) .

هذا تيسر التنبؤ العلمي في مجال العلوم الطبيعية ، بمعنى أن تتكهن بالمعلومات متى أدركت عللها . وهذا غير ميسور في العلوم الانسانية على وجه الدقة . لأن سير ظواهره يمكن أن يغير مجراه بتدخل الإرادة البشرية ، وأحكام الناس تتأثر كثيراً بعوامل لا تتمشى مع منطق العقل . فتفسد على العقل ما كان يتوقعه .

ثانياً – إن التجربة تلعب دوراً رئيسياً في كشف القوانين الطبيعية . بينما يتعذر إجراء التجارب في مجال العلوم الانسانية إلا في نطاق ضيق محدود ، بحيث لا يكون من المعقول إقامة منهج البحث على أساسها .

ثالثاً – إن القوانين الطبيعية عامة صادقة في كل زمان ومكان ، أما مقررات العلوم الانسانية فتشير على عكس هذه القوانين الى ظروف شخصية تاريخية .

رابعاً – إن قوانين العلوم الانسانية (المزعومة) ليست موضوعية خالصة ، إذ أن الباحث في هذه المجالات لا يستطيع [1] أن يتجرد من أهوائه وميوله ومصالحه . وهو ينظر الى موضوعه الذي يتصل حتماً بالانسان من خلال عقيدته وثقافته وتقاليد وطنه ونحو هذا من عوامل تؤثر على نزاهته ، وتجعل بحثه ذاتياً أو متأثراً بالعوامل الذاتية ، على عكس الحال في العلوم الطبيعية ، فإن تحرر الباحث من الميل والهوى ميسور عند علاج موضوعاتها ومن هنا كان البحث العلمي موضوعياً وليس ذاتياً .

---

١ – إن المراجعة الصحيحة لمنهج العلوم الانسانية الذي يفترض محاكمتها الى المنهج التجريبي والعلم المادي وإطلاق ذلك على علوم النفس والاجتماع والأخلاق ، لم يقل به إلا جماعة الفلاسفة اليهود : ماركس ، فرويد ، ليفي بريل ، دوركايم . وقد كشفت الوثائق التي ظهرت أخيراً بعد (بروتوكولات صهيون) . بالترابط العميق بين هذه النظرة وبين المخططات التلمودية (اقرأ في علم النفس . كتاب التراث اليهودي الفرويدي) للدكتور صبري سلامة .

خامساً – إن الدقة في قوانين العلوم الطبيعية: مرجعها الى صورتها الرياضية، لأن من الميسور أن تقاس مقاديرها بالكمية ، أما العلوم الانسانية فيتعذر اخضاع موضوعاتها لهذا الضبط الكمي ويستحيل تصويرها بالمعادلات الرياضية الدقيقة . مما أدى ببعض العلماء الباحثين بالعلوم الانسانية الى القول بأن قوانين علومهم لا تكون قط عامة . لأنها لا تخلو من الحالات الاستثنائية التي لا تدخل في طبيعتها (فيلكس كيفمان) .

تجربة علمي النفس والاجتماع

وقد عرض الباحثون لتجربة علم النفس والاجتماع مع المنهج التجريبي ، وأشاروا الى المراحل التي قطعها العلمان في سبيل التشبه بالعلوم الطبيعية ، وكيف أنه بالرغم من الأشواط الطويلة في هذا المجال فإنهما[1] « ما زالا يفتقران بحكم الموضوعات التي يعالجانها لبعض الخصائص التي تميز العلم بمعناه الضيق ، لأن العلم لا يستقيم بغير جبرية تجعل ظواهره ضرورية محتومة الوقوع ، وليست ممكنة تقع مصادفة واتفاقاً » .

ولما كانت الظاهرة الطبيعية تجري على نسق واحد ، فإنها تيسر لعالم الطبيعة أن يحدد سرعة سقوط الأجسام بمبادلات رياضية دقيقة . ويبدو أن الظواهر الانسانية لا تجري على هذا الغرار تماماً ، وأن الظاهرة النفسية غير الظاهرة الطبيعية ، تستثيرها وتتدخل في توجيهها عوامل كثيرة متشابكة ، يرتد بعضها الى حرية الفرد وخبراته والى الثقافة والاجتماع بوجه عام ، ويرجع بعضها الى البيئة التي تكتنفه وتؤثر فيه وتوجهه . وهذه العوامل من التداخل والتشابك بحيث يصعب حصرها ، وتحديد نصيب كل منها في توجيه الظاهرة التي يدرسها ، وتكفي حرية الفرد بتدخلها في مجرى الظاهرة ، مانعاً للتنبؤ بوقوعها ، أو اطراد حدوثها على نسق واحد ، فيتعذر بها وضع قانون عام له دقة القوانين الطبيعية .

إن الظاهرة النفسية أصلاً ذاتية . وليست موضوعية ، إنها تتصل بباطن

---

١ – نفس المصدر السابق .

النفس منعزلة أو مجتمعة بغيرهـــا ، فهي تتعرض لتدخل الإرادة البشرية التي تستطيع في كثير من المجالات تغيير مجراها فيتعذر التنبؤ بوقوعها على وجـــه دقيق . وتنتفي « الجبرية » التي هي طابع العلم وروحه .

إن الشعور بالفقر والحرمان والاخفاق قد يسلم صاحبه الى اليأس من الحياة أو الانتحار هرباً من مواجهتها ، وقد يؤدي الشعور نفسه عنـــد فرد آخر الى التمسك بالأمل ومضاعفة العمـــل لتغيير الظروف الكئيبة التي تكتنفه ، ومرد الأمر في الحـــالين الى اختلاف هذين الفردين في مدى حظهما من سداد الفكر ، وسلامة الجسم وسعة الثقافة ، ونوع التربية ، وسائر المقومات الشخصية . وقريب من هذا يمكن أن يقال عن الظاهرة الاجتماعية ، إنها لا تخضع لمثـــل الجبرية التي تخضع لها الظواهر الطبيعية . فالفقر ظاهرة اجتماعية قد تفرض على أفراد أحد المجتمعات الإقبال على الانتحار . بينما يتوافر هذا الفقر في بيئة أخرى تكاد تخلو من ظاهرة الانتحار . بل إن الفقر يختلف تأثيره في أفراد البيئة الواحدة ، يدفع أحدهم الى الإجرام بينما يدفع آخر الى الصلاح إيماناً بما قدر له الله من حظ ، أو استجابة لنوع سليم من التربية يؤدي الى الترحيب بمواجهة التبعات .

« فالظاهرة الاجتماعية معقدة أشد التعقيد ، ولا تضطرد على غرار واحد »

« يرى الاجتماعيون أن البطل في كل صورة مجرد معبر عن روح العصر الذي عاش فيه ، ولكنهم يفسرون ظهوره بأنه سبق معاصريه الى معرفة الطريق الذي يسلم الى تقدم مجتمعه . والأمر يبدو على غير هذا الوجه ، فالفرد متى كان زعيماً أو بطلاً أو مصلحاً له أثره الملحوظ في خلق ظواهر اجتماعية ما كان يمكن أن يكون لها وجود بغير ظهوره . وما دامت الظواهر الاجتماعية لا تجري على نسق واحد دائمـــاً فإنه من المتعذر وضع قانون عام لتفسيرها .

وجمـــلة القول : إن « الظاهرة الانسانية نفسية واجتماعية » تختلف عن « الظاهرة الطبيعية » وهـــذا الفرق « هو أكبر العوامل التي تعوق العـــلوم

الانسانية عن التقدم في وضع قوانين عامة تشبه في دقتها وصرامتها قوانين العلوم الطبيعية »[1] .

والظاهرة الاجتماعية : معقدة شديدة التعقيد ، ويبدو أنها لا تضطرد على غرار واحد . ومن هنا يكون : خطأ الظن بأن النـــاس كالقطيع الواحد في استجاباتهم ، ونكران فضل النخبة والزعمـاء والمتفوقين . ويرى الاجتماعيون أن البطل في كل صورة مجرد معبر عن روح العصر فيه ، ولكن الواقع « أن الفرد متى كان زعيماً أو مصلحاً أو بطلاً له أثره الملحوظ في خلق ظواهر اجتماعية ما كان يمكن أن يكون لها وجود بغير ظهوره . وما دامت الظواهر الاجتماعية لا تجري على نسق واحد دواماً . فإنه من المعتذر وضع قانون عام لتفسيرها » .

وجمـــلة القول ان قوانين العلوم الطبيعية : تعتبر اليوم قوانين احتمالية أو ترجيحية ، أما قوانين الرياضة فهي وحدها القوانين التقيينية ، أما قوانين العلوم الانسانية فلا توصف بأنها قوانين بالمعنى الدقيق ، وإنما هي مجرد تعميمات يكثر فيها الاستثناء ، ولا تخلو من كثير من التعسف ، وهذا مـا يجعل الفرق شاسعاً بينها وبين القوانين العامة التي تبرأ من كل استثناء .

---

١ ـ نفس المصدر السابق .

- ٢ -

ولا ريب أن هذا هو أخطر خلاف جذري بين منهج البحث الاسلامي وبين منهج البحث الغربي . ومن هنا كان اتجاه الفكر الاسلامي الى التماس منهج خاص لدراسة مفاهيم النفس والاجتماع والأخلاق أقرب الى العلم والفطرة من ذلك الاتجاه المادي . يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوي : انه اذا كان العلم قد اكتشف سنن الله الفطرية في المادة ، فإن عليه أن يهتدي الى سنن الله في الانسان وفي المجتمع ، لقد تحقق الكشف عن سنن الفطرة في المادة وبقي أن تكتشف سنن الفطرة في الروح ، روح الفرد وروح الجماعة . وان كتاب الله فاطر الفطرة يخبر بما جهلته الفلسفة . ولم يدركه العلم . ويقول : ان الاتجاه الى منهج البحث المادّي في التماس مفهوم الانسان وما يتصل به من مفاهيم سوف لا يؤدي إلا إلى التمزق والضياع . وان لمفاهيم الانسانيات منهجاً آخر لا يقوم على المفهوم المادي وحده . ولكنه يعتمد أساساً على الوحي والكتاب ورسالات الأنبياء والإيمان بالله والبعث وعالم الغيب .

— ٤ —

« منهج البحث الغربي » ليس عاماً ولا عالمياً

هناك محاولة من أتباع الفكر الغربي تستهدف الى تقرير فكرة أن منهج البحث العلمي الغربي ، هو منهج عام يصلح للتطبيق على الفكر العالمي كله . وقد تقرر هذا الافتراض على أساس أن الحضارة الغربية تسيطر على العالم كله ، وأن الفكر الغربي بعالميته يستطيع أن يحتوي الفكر البشري كله . ومن الحق أن منهج البحث الغربي ليس له الصلاحية الحقيقة ليكون عاماً أو عالمياً لأسباب كثيرة تحول بينه وبين ذلك . وأنه في أصوله ومقرراته الأساسية يختلف اختلافاً جذرياً عن منهج البحث الاسلامي ولا يلتقي معه كما أنه يختلف اختلافاً أساسياً مع القيم الانسانية التي تقوم على الفطرة والإيمان بالوحدة البشرية .

أولاً — الاستعلاء بالعنصر . ذلك أن هذا المذهب يصدر عن روح الغرب ، التي تمثل الاستعلاء بالجنس والنظر الى الشعوب غير البيضاء ، وشعوب إفريقيا وآسيا نظرة لا توازي النظرة الى أوربا والجنس الأبيض . وهي نظرة تقوم على تاريخ أوربا ، والتي تعتقد — عن غير حق من التاريخ أو المنهج العلمي الأصيل — بوجود حضارة واحدة هي الحضارة الغربية وليدة الحضارة الاغريقية ، وهي نظرة متعصبة ترى ظلماً أن الحضارة الاسلامية كانت جزءاً منها . ومن خلال نظرة التفوق العنصري والسيطرة الاستعمارية على العالم الاسلامي تصطبغ النظرة الى هذا العالم الاسلامي وفكره بصبغة فيها شيء غير قليل من الانتقاص. ذلك أن التفوق الغربي الذي كفل له السيطرة على عالم الاسلام قد أراد أن يبرر